رمزيــة الصليـب
في مقاربـة روني غينـو (1886م-1951م)
The symbolism of the cross
In the approach of René Guenon (1886 -1951)

د. فرعون حمو1*
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)
الإيميل المهني للباحث:hamoufiras@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/10/15 تاريخ القبول: 2024/01/21 تاريخ النشر: 2024/01/30

ملخص:

بعكس ما كان يعتقده بيار بورديو *Pierre Bourdieu* مِنْ أنَّ مهمةَ السوسيولوجيا تتمثل" في تحويل مشكلات ميتافيزيقية إلى مشكلات قابلة لأن تعالج معالجة علمية" *(Pierre Bourdieu,question de socoilogie, 1980)*، فرهـانُ هذا المقال هو محاولة زحزحة الصليب *la croix* وهو أكبر رمزيات الايقونوغرافيا *Iconographie* المسيحية، من دلالته التاريخية الفيزيقية الظاهرة، إلى رمزيته الميتافيزيقية الأصلية الباطنية، انطلاقا من مقاربات روني غينو في كتابه رمزية الصليب *(Le symbolisme de la croix)*.

كلمات مفتاحية: الرمزية، الصليب، رمزية الصليب، روني غينو.

Abstract:

Contrary to what Pierre Bourdieu believed that the task of Sociology is "to transform metaphysical problems into problems that can be treated scientifically", the bet of this article is an attempt to move the cross - which is the greatest symbol of Christian iconography - from its apparent historico-physical significance, to its original esoteric metaphysical symbolism, based on the approaches of René Guenon in his book Le Symbolisme de la Croix (The Symbolism of the Cross).

Keywords: The symbolism; the cross; The Symbolism of the Cross; René Guenon

* المؤلف المرسل : فرعون حمو

محاور المقال:

1. توطئة حول كتاب رمزية الصليب لروني غينو (Le symbolisme de la croix)
2. من هو روني غينو *René Guenon* ؟
3. الرمزية عند روني غينو
4. المسيحية وضياع حقيقة رمزية الصليب في نظر روني غينو
5. الرمزية الميتافيزيقية الأصلية لشكل الصليب
6. الرمزيات الميتافيزيقية الفرعية الأخرى لشكل الصليب في التراثات الأخرى
7. خاتمة

1. توطئة حول كتاب رمزية الصليب لروني غينو*(Le symbolisme de la croix)*

في هذا المقال سوف نُحاولُ استقصاءَ واستجلاءَ واستظهارَ فكرة رمزية الصليب عند الكاتب الفرنسي المتميز روني غينو*René Guenon (1886 -1951)*، من خلال القراءة والاستقراء في كتابه (رمزية الصليب *Le symbolisme de la croix*)، هذا الكتاب الذي يقول عنه السيد ميشال فالسان *Michel Vâlsan* (وهو من أكبر تلاميذ وورثة روني غينو) أنه "بطابعه الميتافيزيقي وبطريقته الرمزية يعتبر الكتاب الأكثر تمثيلا لفكرة عالمية التراث من مجموع كل مؤلفات روني غينو" *(Michel Vâlsan,L'Islam et la Fonction de René Guénon, 1953)*، وهو أيضا الكتاب الذي يقول عنه مُترجِمَهُ ومُحَقِقَهُ الأستاذ والباحث الجزائري عبد الباقي مفتاح أنَّ" الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي" رمزية الصليب *le symbolisme de la croix*"، لكنني تجنبتها لأن أول ما يتبادر إلى ذهن من يقرؤها، علاقتها بعقيدة المسيحيين في كيفية وفاة المسيح عليه السلام وبالتثليث، لكن ليس في هذا الكتاب أي وقوف عند المفهوم المسيحي- بالمعنى الحصري- لهاتين المسألتين، بل الصحيح هو العكس تماما: فمدار الكتاب...حول التحقق بالتوحيد، مع بيان أن الشكل الصليبي رمز مشترك بين جُلِ الملل والأديان والتراثيات الروحية العرفانية منذ أقدم العهود... لهذه الأسباب فضلتُ في

ترجمة عنوان الكتاب التعبير عن روحه وقطب مداره، أي الإنسان الكامل المتحقق بكمال التوحيد، والمستوعب لكل مراتب الوجود: "انبساطًا أفقيًا، وعروجًا ونزولا عموديًا"، وفي عنوانه الثاني أشرت لصبغته المحمدية الإسلامية المتميزة، بذكر الإسراء والمعراج عبر مراتب الوجود اللذين خص بهما سيدنا- محمد صلى الله عليه وسلم-، كما هو مشهور في الجانب الشرعي، وبالتلويح إلى عرض عالم الحس وعوالم التقييد المتقاطعة في النسيج الوجودي مع طول عوالم الأرواح والإطلاق، كما هو معروف في العرفان الصوفي"، لذلك اختار الأستاذ عبد الباقي عنوانا أخر أكثر تدقيقا وشرحا لمحتوى الكتاب وخطابه ورسالته وسمَّاهُ"رموز الإنسان الكامل" وتحت عنوان فرعي أخر (رمزية تقاطع خط الإسراء الأفقي بخط المعراج العمودي) (روني غينو،رموز الإنسان الكامل، 2015)، باعتبار أن غينو حينما كتب كتابه "رمزية الصليب" كان يخاطب به يومئذ الجمهور الغربي، أما لما أراد الأستاذ عبد الباقي مفتاح ترجمة الكتاب فان المخاطب هذه المرة هم المسلمون والعرب، فاقتضى تجديد شكل الخطاب مع المحافظة على محتوى ومضمون رسالة الخطاب.

2. من هو روني غينو *René Guenon* ؟

إذا كان الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي (560هـ،1165م. 638 هـ،1240م)، قد وُصِفَ بأنهُ أعلم و" أعرفُ بكل فن من أهل كل فن" (زروق الفاسي، قواعد التصوف، 2005م-1426هـ)، فإنَّ هذا الوصف والتوصيف يَنسحبُ ويَصدقُ أيضا على روني غينو، فلقد تَحيَّرَ وحَارَ المترجمون والخبراء في البيوغرافيات وفي تاريخ العلوم حول إمكانية تصنيفه وتحديد هويته، فإذا صَنَّفنَاهُ في خانة علماء الاجتماع أو الفلاسفة أو المستشرقين أو في خانة مؤرخي الأديان فإننا سوف نبخسه حقه، لأنه أعلم بهذه (وفي هذه) التخصصات من أهل هذه التخصصات أنفسهم بحسب إقرار واعتراف بول شاكورناك *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)*، وغينو بالنسبة لمؤرخ الأديان الفرنسي فيليب فور *Philippe Faure*هو" وَجْهٌ خارج التصنيف في التاريخ الثقافي للقرن العشرين" *(Philippe*

Faure, René Guénon:L'appel de la sagesse primordiale, 2015)، وهو الشاهد الأكبر على التراث وعلومه *le témoin de la tradition* وفق قراءة وشهادة جون روبان *Jean Robin* (*Jean Robin,René Guénon,témoin de la tradition, 1975*)، وإذا كان معجم المثقفين الفرنسيين قد وصف روني غينو بأنه أكبر وأكثر المثقفين الفرنسيين تأثيرا في القرن الماضي" (*Julliard, M.Wino,Dictionnaire des intellectuels français, 1996*)، فان اسم روني غينو لا يكاد يُعرَفُ في الجامعات العربية والإسلامية، وبعد ذلك حتى الجامعات الغربية ضُرِبتْ حوله "مؤامرة صمت" على حد تصريح بول شاكورناك *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)* وجون هاني *Jean Hanni* *(Jean Hanni,Peut-on être catholique et guénonien?, 2010)*.

ولد غينو في مدينة (بلوا *Blois*) الفرنسية في15نوفمبر1886م، من أسرة كاثوليكية محافظة، واسمه الكامل هو جون ماري جوزاف غينو *René-Jean-Marie-Joseph Guénon* في سنة 1904م ينال شهادة البكالوريا بعد أنَّ تحصل على جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين، واستقر في باريز لدراسة الرياضيات، في بداية 1909م يبدأ غينو بنشر أعماله ومقالته وكتبه وهو مقتبل الشباب، وبين1909م إلى1912م يُساهم في الكتابة في مجلة العرفان *La Gnose*، و في الفترة ما بين23 سنة و26 سنة كَتَبَ أهم وأعظم كتبه *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)*، وفي نهاية سنة 1910م يلتَقي روني غينو مع الباحث والفنان السويدي جون غوستاف اقيلي *John Gustaf Agelii* (عبد الهادي) الذي كان قد أسلم والتقى في القاهرة مع الشيخ عبد الرحمن عليش واصبح مقدما وكيلا له، وفي سنة 1912م اعتنق روني غينو رسميا الإسلام *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)* على مشرب السادة الصوفية الشاذلية، وعمره تقريبا في حدود 25 سنة، وكان ذلك عبر صديقه عبد الهادي، وعلى يد الشيخ عليش وتسمى باسم (عبد الواحد يحيى)، توفى غينو الشيخ عبد الواحد يحي في القاهرة على الساعة11مساءا، ودفن يوم الاثنين 08

جانفي1951م *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)*، وكان أخرُ كلامه" الله الله" *(Paul Chacornac,La Vie simple de René Guénon, 1958)*، وتَركَ روني غينو كُتبا وأبحاثا نوعية، من أهمها كتاب "رمزية الصليب" (1931) *Le symbolisme de la croix* .

3. الرمزية عند روني غينو:

اختلفَ أهلُ الاختصاص اختلافا كبيرا في نحت تعريف مُوحد جامع لمصطلح الرمز، يقول فيليب سيرنج *Philippe Maurice seringe* من" الصعب تعريف الرمز، وفي هذا الشأن قال مالرو، تعريف الرمز هو: أن الرمز يعبر عما لا يمكن التعبير عنه إلا به... وعمليا، إن التعريف المعطى في القرون الوسطى من قبل ايزيدو الصقلي 560م-636م، يمكن الحفاظ عليه وهو الرمز علامة تعطى طريقا إلى المعرفة" (فيليب سيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة، 1992)، وباستعراض القواميس والمعاجم المختصة نجد أن إحدى التعريفات الأقرب إلى الإجماع والتواطؤ الاصطلاحي عند الباحثين هي أن" الرمز هو التحقق الملموس أو التجسيد لحقيقة مجردة" (فيليب سيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة، 1992)، مع أن (الحقائق تبقى خلف الأشكال الرمزية) كما كان أندري جيد يقول (فيليب سيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة، 1992).

أما عند روني غينو فالأمر يختلف كليا عن أبحاث ومقاربات نظرائه من الدارسين والباحثين في"علم الرموز*symbologie*" *(Riffard, Dictionnaire de l'ésotérisme, 1983)*، لأنه لا يمكن أبدا فهم دلالات الرموز عند غينو بعيدا عن نظريته في" الملة الأصلية الأولى ***la*** *Tradition primordiale (Michel Vâlsan,L'Islam et la fonction de René Guénon, 1984)*، فالرموز عنده" في الحقيقة تنتمي للملة الأصلية الأولى التي تفرعت منها كل تلك الأشكال بكيفية مباشرة أو غير مباشرة" *(René Guénon, Symboles de la science sacrée, 1977)*، وفهم هذه الرموز يتعلق بـ" الأفق العرفاني" لكل شخص، فالرمزية علم دقيق

مضبوط الصحة، وليست أوهاما تجمح فيها التخيلات الفردية حيث يسوقها الهوى" (René Guénon, Symboles de la science sacrée, 1977).

في مشروع روني غينو الرمزية تكتسي أهمية أساسية كبرى، ولقد ركز عليها منذ صدور كتابه الأول واعتبر أن الرموز "هي لغة الميتافيزيقا بامتياز" (Guénon, Introduction Générale à l'Étude des Doctrines hindoues, 2009)، كما هي" الشكل الحساس لكل تعليم روحي" (guenon,aperçus sur l'ésotérisme islamique et le taôisme, 1973)، واعتبر غينو الرمزية هي" التمثيل الشامل والشكلي لكل مجموعات الأفكار والمفاهيم التي يمكن أن يستخلصها كل فرد بحسب قدراته ومواقفه الثقافية " (guenon ,aperçus sur lésotérisme islamique et le taôisme, 1973)، وأكد غينو" أن الرموز هو الوسيلة التقليدية التي تمنح للإنسان معرفة فوق-عقلية" (Guénon, Symboles de la science sacrée, 1977)، وفي مقال له صادر في اكتوبر1930م نقرأ لغينو إن الرمز مخصص لإيقاظ الملكات الحدسية ويسهل المعرفة الروحية التي يُعرّفها بأنها" التواصل المحقق بالوعي مع الكائنات العليا" (guenon,aperçus sur l'ésotérisme islamique et le taôisme, 1973).

وللرمزية أهمية علمية تحليلة ودلالية عظمى، فحتى ظاهرة الشرك والوثنية ليست في عمقها بحسب غينو إلا نتائج الجهل بالرمزية و باشاراتها، وبسبب عدم التفريق والخلط بين الرمز والمرموز إليه (Guénon, Aperçus sur l'ésotérisme islamique et le taoïsme, 1973).

ولقد حاول روني غينو تأسيس ميتافيزيقا للرموز معتبرا أن للرمزية أساسٌ فطري في طبيعة الكائنات والأشياء نفسها، وأنها مطابقة تماما لسنن هذه الطبيعة و" أنّ الذوات والأشياء مجبولة على الرمزية في طبيعتها الأصلية" (Guénon, Symboles de la science sacrée, 1977)، و"ملائمة بالخصوص إلى مقتضيات الطبيعة الإنسانية" (Guénon,Symboles de la science sacrée, 1977)، ووظائف الرمزية ومهامها وفق التصور

الغينوي باعتبارها "الوسيلة المثلى لتعليم الحقائق ذات الطراز السامي، الدينية منها والميتافيزيقية "*(Guénon,Symboles de la science sacrée, 1977)* ، بل الكون كله عند غينو ما هو إلا رموز تشير إلى حقائق مقدسة عليا.

4. المسيحية وضياع حقيقة رمزية الصليب في نظر روني غينو:

لقد أفرد غينو ثلاث كتب خصصها للحديث عن المسيحية، كتاب" باطنية دانتي *l'Esotérisme de Dante*، الذي كتبه في سنة 1925م، وكتاب "القديس برنارد *Saint Bernard*" الذي كتبه في سنة 1926م، وبعد ذلك كتاب" نظرات على علم الباطن المسيحي *Aperçus sur l'ésotérisme chrétien* في سنة 1954م، وبرغم أن روني غينو كان يرى أنه " في عمق العقيدة ليس هنالك أي اختلاف واقعي بين المسيحية والإسلام، فهما يتوافقان مع بعضهما البعض في معناهما الحقيقي" *(Michel Vâlsan,L'Islam et la Fonction de René Guénon, 1953)* ، وأن " روني غينو حاول الإحياء العقائدي للرمزية المسيحية من خلال سلسلة مقالات كتبها ما بين 1925م إلى1927م، وكتب استتباعا مقالات اخرى الباطنية المسيحية في مجلة قناع ازيز ودراسات تراثية" *(Michel Vâlsan,L'Islam et la Fonction de René Guénon, 1953)* ، إلا انه كان يرى أن المسيحية" في مظهرها الخارجي المعروف عموما على أي حال، تبدو أنها فقدت نصيبا من النظر إلى الطابع الرمزي للصليب، لكي لا ترى فيه سوى علامة على حادثة تاريخية" *(René Guénon,Le Symbolisme de la Croix, 1999)*. وأن الحقائق الباطنية في الديانة المسيحية ضعف وهجها عبر التاريخ عند الاتباع واستمرت " لكن بكيفية مستورة إذا صح القول، وأما في الحالة الأخرى (أي الانسحاب التام لذلك الجانب الباطني) فهذا يعني بأن "الروح" انسحبت تماما ولم يبق من ذلك التراث إلا جسم ميت.... لكن في الواقع لقد ازدادت قلّة هؤلاء أكثر فأكثر إلى حد أنهم أمسوا لا يشكلون إلا قلة في غاية الندرة " (روني غينو،رموز العلم المقدس، 2014)، يقول الأستاذ عبد الباقي مفتاح في تعليقه على كتاب "مليك العالم" لروني غينو أن غينو رحمه الله تعالى قد صرّح في هذا الكتاب

(الباب العاشر) وغيره، بأنّ منذ قرون لم يبق في الغرب بجملته أي تنظيم روحي عرفاني قويم يمكن أن يفتح طريق معرفة الله تعالى والوصول إلى حضرة قربه عز وجلّ، ومن المعلوم أنّ المسيحية بمختلف مذاهبها واليهودية وتنظيمات الماسونية وغيرها من النحل المتفشية في الغرب هي المقصودة بهذا القول (روني غينو، مليك العالم ، 2013).

وسببُ هذا الانحراف عن المعنى الباطني العمق في الديانة المسيحية بحسب روني غينو، هو عدم استيعاب المسيحيين للرمزية التي تجلت في تراثهم وكانت تحتاج منهم إلى جهد واجتهاد لفهم وتأويل حقائق ورموز الدين المسيحي، باعتبار- كما يقرر غينو- إن" هذا هو الذي يجعل من الرمزية لغة أقل انحصار بكثير من اللغة المعتادة، فهي وحدها القابلة لتوصيل بعض الحقائق والتعبير عنها، وبهذا تفتح إمكانيات للتصور والاعتبار لا حدود لها حقا، وهذا هو الذي يجعلها تشكّل بامتياز لغة التربية الروحية العرفانية، والحامل الضروري لكل تعليم تراثي أصيل" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

5. الرمزية الميتافيزيقية الأصلية لشكل الصليب:

للرموز عند روني غينو إحالات مختلفة ودلالات مكثفة متعددة، لكن هنالك دلالة عميقة أصلية ومبدئية انطلقت منها كل هذه الإحالات والدلالات، هي الدلالة الميتافيزيقية الأم والأهم، وهي مرتبطة مباشرة بـ" الملة الأصلية الأولى*la Tradition primordiale*" ، يقول غينو "كماَ هُو شأن كل رمز، فإن للصليب دلالات متعددة، وليس مرادنا هنا التوسع فيها جميعا على السواء، فمن بينها ما لا نشير إليه إلا عَرَضًا، وبالفعل فالذي سنركزُ عليه بالأساس هو الدلالة الميتافيزيقية، وهو المعنى الأول والأهم منها جميعا، إذ هو المعنى المبدئي بالمعنى الحصري، وكل ما عاداه ليس سوى تطبيقات عارضة ثانوية بمقدار متفاوت الزيادة أو النقص، وإذا وقعَ منا النظر إلى بعض هذه التطبيقات، فسيكون ذلك دوما، في الصميم، بهدف ربطها بالمستوى الميتافيزيقي، لأن هذا الارتباط، في نظرنا، هو الذي يجعلها مقبولة وشرعية، وفق المفهوم المنسي تماما في العالم الحديث، وهو مفهوم "العلوم التراثية الأصيلة"

(روني غينو،رموز الانسان الكامل، 2015)، ويرفض غينو حصرية وخصوصية رمزية الصليب بالديانة المسيحية، ويبدو أن هذا الأمر هو محلُ إجماع بين الدارسين والمختصين في الرمزيات، فلقد أكد الباحث الفرنسي فيليب سيرنج على وجود الصليب" في كافة مناطق العالم تقريبا قبل العصر المسيحي" (فيليب سيرنج،الرموز في الفن والأديان والحياة، 1992م)، و روني غينو يذهبُ إلى أنَّ كل الأديان والملل القديمة أَقَرَتْ واعترفتْ بل تَبنتْ الصليبَ كقيمةٍ رمزية في بعده الشرعي الحقيقي، فإنهُ حتى" إذا كان المسيح قد مات على الصليب فإنما ذلك، إن أمكن القول، بسبب القيمة الرمزية التي يتضمنها الصليب نفسه، والتي أقرت بها على الدوام كل التراثيات، وهكذا دون إنقاص شيء أصلا من دلالته التاريخية، يمكن أن ننظر إليها متفرعة من هذه القيمة الرمزية نفسها" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015)، ومع أنَّ القرانُ الكريم نفي وقوع حادثة صلب المسيح نفسه، لكنه لم ينف ظاهرة الصلب في حد ذاتها التي وقعت حقيقة لإنسان أخر مُشْتَبَهِ فيه، قال تعالى" وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ"(سورة النساء لآية 157)، أما المعنى الميتافيزيقي الأصلي الأولي المبدئي لشكل الصليب وفق القراءة الغينوية هو الوصول العرفاني إلى مقام ورتبة الإنسان الإلهي الكامل يقول غينو" جُلُ المذاهب التراثية تُشيرُ إلى التحقق بمقام« الإنسان الكامل *l'Homme Universel*» بنفس الرمز في كل مكان... لأنه من بين الرموز المرتبطة مباشرة بالملة الأصلية الأولى: إنها علامة الصليب، التي تمثل بجلاء تام كيفية حصول ذلك التحقق بالتواصل الكامل بين مجموع مراتب الكائن، متناسقة ومترابطة في انسجام تام، وتكامل شامل في اتجاهي: «الانبساط الشاسع *ampleur*» والمعراج الرافع *exaltation*» (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015)"، ولعل روني غينو هنا قد استلهمَ مُقررات شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن عربي الذي كان قبل غينو بقرون قد أشار في كتابه الفتوحات المكية إلى رمزية الصليب في خطه الأفقي العرضي الشائع، وفي خطه العمودي الطولي الرافع، من خلال علم خاص جدا بَاحَ به يوما الصوفي الشهيرأبي منصور الحلاج، وفكَ بعض شفراته ابن

عربي الذي قال عنه" هذا العلم هو المتعلق بطول العالم أعني العالم الروحاني وهو عالم المعاني والأمر، ويتعلق بعرض العالم وهو عالم الخلق والطبيعة والأجسام... كالحلاج وغيره فإنه يريد بالطول فعله في عالم الأرواح وبالعرض فعله في عالم الأجسام"، ووفق تحليل روني غينو شكل الصليب يَشير إلى" التكامل الشامل المزدوج، يُمكن أن يُنظر إليه حاصلا أفقيا، أي في مستوى أو درجة وجودية معّينة، هذا من جانب، وحاصلا من جانب آخر في التراتب الهرمي المرتب لجميع الدرجات، وبهذا يكون الاتجاه الأفقي ممثلا لـ«الانبساط الشاسع» أو الامتداد الكامل للفردية باعتبارها قاعدة التحقق، وهو امتداد يتمثل في تطور "لا محدد" لجملة إمكانيات خاضعة لبعض الشروط الخاصة للظهور، وفي حالة الكائن الإنساني، لا يقتصر هذا التمدد طبعا على الجانب الجسماني للفردية، وإنما يشمل جميع هيئاتها، إذ المرتبة الجسمانية ليست سوى واحدة من تلك الهيئات بالمعنى الحصري، أمّا الاتجاه العمودي فيشمل التراتب المتسلسل بالتراكب اللامحدد أيضا- بل من باب أولى- للمراتب المتعددة، وكل واحدة منها، باعتبار شموليتها كذلك، هي إحدى هذه الجمل من الإمكانيات، كل جملة ترجع إلى «عالم» أو درجة، ومجموعها مندرج في الحصيلة الجامعة لـ« الإنسان الكامل»، إذن فالانبساط الأفقي، في هذا التمثيل، يناسب لا محدودية الهيئات الممكنة لنفس الكائن باعتبار اكتماله الشامل، أما التراتب العمودي، فيتناسب مع السلسلة اللامحددة لمراتب الكائن الكلي" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015)، فرمزية الصليب عند غينو تدل أساسًا على التحقق بمرتبة الإنسان الكامل، التي هي عبارة عن جمعية كلّ المستويات الأفقية الإمكانية المنفعلة مع كلّ المدارج العمودية الوجوبية الفاعلة، عروجاً ورجوعاً في النقطة الأصلية لمركز التجلي الذاتي الأكمل كما يقول الأستاذ عبد الباقي مفتاح.

الصليب إذن هو رمز الفناء في الله عند تقاطع السير الأفقي والسير العمودي نحو الله، وهو يُحيلُ إلى نقطة التقاطع التي هي رمز الفناء، والنقطة أيضا لها دلالة وإشارة صوفية

عظمى في اصطلاح القوم، فهي رمز الإنسان الكامل أو ما يُسمى بالحقيقة الأحمدية المحمدية أول صادر عن الله وفق التصور العرفاني الصوفي.

6. الرمزيات الميتافيزيقية الفرعية الأخرى لشكل الصليب في التراثات الأخرى:

لاَحَظَ غينو حينما قارنَ رمزية الصليب في الأشكال التراثية الأخرى، أن كل هذه الرمزيات عبر التاريخ، تتفق في العمق وتختلف في الشكل فقط، فعمقها العميق يشير إلى عقيدة التوحيد الإلهية الواحدة الموحدة التي يقول عنها غينو أنها" عقيدة التوحيد واحدة *la doctrine de l' unité est unique* "*guenon ,aperçus sur l ésotérisme islamique et le taôisme,* (*1973*، ثم تتلون هذه العقيدة بأشكال متعددة، فهي " نفس ما يُسمّى في المذهب الهندوسي بـ«الانعتاق» ("موكشا *Moksha*")، أو ما يسمّى في التصوف الإسلامي بالفناء أو« التحقق بالوحدة العليا»، ومن معطياته أنَّ« الإنسان الكامل»، من حيث تمثيله بمجموع الاسمين (آدم وحوا) له نفس عدد اسم "الله" (أي الاسم الأعظم المفرد الجامع)، وهذا التطابق يعبّر حقا عن «التحقق بالوحدة العليا*l'identité suprême*»" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

والعلاقة بين المعنى الأصلي المبدئي لشكل الصليب وبين المعاني والدلالات الأخرى الفرعية مرتبطة عند غينو بما يطلق عليه "قانون التناسب *la loi de correspondance*" الذي يراه أساسا لكل رمزية ويقول عنه" ولقانون التناسب استتباع آخر، وهو تعدد الدلالات المندرجة في كل رمز، وبالفعل، ما من شيء، إلا ويمكن اعتباره مماثلا، ليس لمبادئ ميتافيزيقية فحسب، وإنما أيضا لحقائق كل المراتب التي هي أعلى من مرتبته مع كونها لا تزال عارضة، وهذا لأن تلك الحقائق المرتبطة بها، هي أيضا بكيفية مباشرة متفاوتة الزيادة أو النقص، تقوم بالنسبة إليه بدور" علل ثانوية"؛ والمعلول يمكن دوما اعتباره رمزا لعلته، مهما كانت درجتها، لأن كل ما يشكل حقيقة المعلول ليس سوى التعبير عن أمر ملازم لطبيعة علته. وهذه الدلالات الرمزية المتعددة والمتراتبة بعضها فوق البعض، لا تتنافى بتاتا كما لا

تلغي المعنى الحرفي؛ بل بالعكس، هي متناسقة في ما بينها، لأنها تعبر في الحقيقة عن تطبيقات بنفس المبدأ في مستويات مختلفة؛ وبالتالي فهي تتكامل وتتضافر متآزرة في انسجام التوليف الكلي الجامع" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

وعلى مستوى رمزية اتجاهات الفضاء *Les directions de l'espace* ومن دلالة الصليب الفرعية التي اعطاها له" بعض الكتاب الغربيين، من ذوي المزاعم التربوية العرفانية المتفاوتة زيادة أو نقصا، أرادوا أن يعطوا للصليب دلالة فلكية حصريا، فقالوا إنه "رمز للهيئة الصليبية التي تشكّلها دائرة البروج مع خط الاستواء"، ومع بياننا للتأويل الصحيح لما هو مقصود هنا، فإن كل واحدة من الجملتين المستشهد بهما تشتمل على خطأ، وبالفعل فمن جانب، دائرة البروج وخط الاستواء لا يشكّلان الصليب، لأن مستويهما لا يتقاطعان في زاوية مستقيمة؛ ومن جانب آخر، فإن نقطتي الاعتدال لا يتواصلان طبعا إلا بخط مستقيم واحد، فصار الصليب هنا أشد خفاء" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

و الصليب له حضور أيضا في التراث الهندوسي خاصة في نظرية "الكونا *théorie hindoue des trois gunas*" يقول غينو أنه" وبِيُسْرٍ يُمكنُ الآن رؤية علاقة هذا كله برمزية الصليب، سواء بالاعتبار الميتافيزيقي الخالص، أو بالاعتبار الكوني (الكوسمولوجي) مُطبَقًا في مستوى "الكون الكبير" أو في مستوى "الكون الصغير"، وفي جميع الحالات" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015) .

كما إن لرمزية الصليب تمظهرات أخرى في اتحاد المتكاملات *L'union des complémentaires* ويرى غينو "وفي هذا الصدد، يمكن الاكتفاء باعتبار الصليب في شكله المألوف ذي بعدين، وللرجوع منه إلى شكله في الأبعاد الثلاثة، تكفي ملاحظة أن المستقيم الأفقي الوحيد يمكن اعتباره كمسقط للمستوى الأفقي بكامله على المستوى المفترض عموديا والحامل لرسم الشكل، ثم لِننْظُر إلى الخط العمودي كمُمَثل للمبدأ الفاعل، وإلى الخط الأفقي كممثل للمبدأ المنفعل؛ وبمقارنة مع الميدان الإنساني، يسمّى هذان المبدءان

على التتالي ب:"المذكر *Masculin*" و"المؤنث *Féminin*"، وباعتبار دلالتهما الأوسع، أي بالنسبة لجملة مجلى الظهور الكلي بكامله، يطلِق عليهما المذهب الهندوسي تسمية "بوروشا *Purusha*" و"براكريتي *prakriti* " (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015)، ويمكن رصد تجليات رمزية الصليب في اجتماع الأضداد وحلول المتناقضات *La résolution des oppositions*، يقول غينو "مركز الصليب هو النقطة التي تتوافق وتنفك فيها كل المتضادات، ففيها يتم توليف جميع الأطراف المتعاكسة، وهي التي في الحقيقة، ليست متعاكسة إلا تبعا لوجهات نظر خارجية ومنحصرة للمعرفة في نمط مخصّص، وهذه النقطة المركزية تتناسب مع ما يُسمَّى في التصوف الإسلامي بالمقام الإلهي *station divine* الذي هو مقام اجتماع الأضداد *celle qui réunit les contrastes et les antinomies* ، وهو ما يُسمَّى في تراث الشرق الأقصى من جانبه، بالموقع الأوسط الذي لا يتغير» ("تشاونك – يونك *Tchoungyoung*")، الذي هو محل التوازن الكامل، المُمَثل بمركز الدولاب الكوني *Rou cosmique*، وهو أيضا في نفس الوقت، النقطة التي ينعكس فيها مباشرة تصرف السماء *l'activité du ciel*. هذا المركز هو الذي يُسيّر جميع الأشياء بحكم تصرفه الساكن *activite non agissante*("واي-وُو – واي *wei wou-wei* " (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015)، يقول غينو أنه "من بين المظاهر الأخرى لرمزية الصليب، المظهر الذي يجعله متطابقا مع ما تطلق عليه مختلف التراثيات اسم "شجرة الوسط *L'arbre du milieu* "، كما يرى غينو" أن الصليب في شكله العادي، يوجد في الأشكال الهيروغليفية المصرية للدلالة على" النجاة *Salut*" (مثلا في اسم" بطوليمي سوتار *Ptolémée soter*"، وهذه العلامة تتميز بوضوح عن "الصليب ذي العروة ***croix ansée*** آنخ *Ankh*" الدال من جانبه على معنى "الحياة" والذي كثيرا ما استعمله المسيحيون كرمز خلال القرون الوسطى، ويمكن أن نتساءل إذا كان للأول من هذين الشكلين الهيروغليفين صلة مع شكل "شجرة الحياة" الذي يربط هذين الشكلين للصليب الواحد بالآخر، إذ أن دلالتيهما تكونان على هذا المنوال

متطابقتين جزئيا، وعلى أي حال، فبين مفهومي "الحياة" و"النجاة" يوجد ارتباط جلي" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

ومن رمزيات الصليب الـ"سواستيكا *le swastika*" وهو كما يقول عنه روني غينو "من أبرز أشكال ما سميناه الصليب الأفقي، أي الصليب المسطر على مستوي يمثل إحدى المراتب الوجودية، شكل "سواستيكا" (الصليب المعقوف)، الذي يبدو بوضوح مرتبطا مباشرة بتراث الملة الأصلية الأولى، لوجوده في شتى البلدان المختلفة والأكثر تباعدا عن بعضها البعض، وهذا منذ أقدم العصور، وبعيدا عن أن يكون حصريا رمزا شرقيا كما يُعتقد أحيانا، هو من بين الرموز الأعم انتشارا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، إذ أنه يوجد حتى عند بعض الشعوب الأصلية في أمريكا، وصحيح أنه احتُفِظ به بالخصوص في الوقت الحاضر، في الهند وفي آسيا الوسطى والشرقية، وربما لم تعد دلالته مفهومة إلا في هذه المناطق، لكن مع هذا، لم يُفقَد بصفة تامة حتى في أوروبا نفسها. وفي العصور القديمة، نجد هذه العلامة بالخصوص عند "السلتيين *les celtes*" (سكان أوروبا القدامى) وفي اليونان قبل العهد الهيليني، وفي الغرب كذلك، قديما كان إحدى شعارات المسيح، وبقي بهذا الاستعمال إلى حوالي نهاية القرون الوسطى، وفي موضع آخر قلنا إن "السواستيكا" هي بالأساس "علامة القطب *le signe du pole*"، وقارنّاها بشكل الصليب المرسوم في دائرة، ويمكن بيسر فهم أن لدينا هنا، في الصميم، رمزان متكافئان في بعض الوجوه؛ لكن الدوران حول مركز ثابت، بدلا من تمثيله لمحيط الدائرة" (روني غينو،رموز الإنسان الكامل، 2015)، وفي "لوتيانيا *lithuanie* " و"كورلاند *courlande*"، لا يزال سكان الريف إلى اليوم يرسمون هذه العلامة في منازلهم، ولاشك أنهم لم يعودوا يعلمون دلالتها ولا يعتبرونه سوى طلسما حافظا، لكن الأغرب من هذا، هو أنهم يعطونها اسما بالسنسكريتية أي "سواستيكا"، ويبدو أن اللغة اللوتيانية هي التي لها، من بين اللغات الأوروبية، أقرب شبه مع السنسكريتية. ولا حاجة إلى القول بأننا لا نلتفت، إلى الاستعمال المصطنع تماما، بل المضاد للتراث الروحي، للـ"سواستيكا"، من طرف

"العنصريين" [النازيين] الألمان، التي بإعطائها تسمية خيالية وسخيفة إلى حد ما، وهي "هاكنكراز *hakenkreuz*" أو" الصليب المكلّب *croix acrochets*"، جعلوا منه بكيفية اعتباطية تماما علامة معاداة للسامية، بذريعة أنّ هذا الشعار كان مخصوصا بما يسمى "الجنس الآري ***race aryenne***"، بينما العكس هو الصحيح، إذ هو رمز عالمي حقا، وفي هذا السياق، ننبّه على أن تسمية سواستيكا بـ"الصليب المعقوف"*Croix gammée*"الشائعة في الغرب بسبب شَبَه شكل فروعها بشكل حرف "كاما" الإغريقية، هي كذلك خاطئة، فالعلامات المسماة قديما "كاماديا *gammadia*"، كانت في الواقع مختلفة عنه، رغم اقترانها أحيانا، بمقدار يزيد أو ينقص، مع "سواستيكا" خلال القرون الأولى للمسيحية، وإحدى هذه العلامات تسمى "صليب الكلمة الإلهية *croix du verbe*"، وتتشكل من أربع "كاما *gamma*" زواياها متجهة نحو المركز، وقسمها الداخلي على شكل صليبي يمثل المسيح، بينما الـ"كاما" الأربعة الزاوية تمثل كتاب الأناجيل الأربعة، وهذا الشكل يكافئ في هيئته التمثيل المشهور للمسيح في وسط الحيوانات الأربعة، ونجد أيضا وضعية أخرى لصليب مركزي محاط بأربعة" كاما" في هيئة مربعة (الزوايا متجهة إلى الخارج بدلا من الداخل)؛ ودلالة هذا الشكل هي نفس دلالة الشكل السابق. ونضيف بلا مزيد من الإلحاح، أن هذه العلامات تجعل رمزية الكوس*le symbolisme de l'équerre* [مثلث بزاوية قائمة] (الذي له نفس شكل "كاما") على علاقة مباشرة برمزية الصليب" (روني غينو، رموز الإنسان الكامل، 2015).

هذه باختصار أهم رمزيات الصليب في الثقافات والتراثات المختلفة كما رصدها وتأولها روني غينو، أما تأويل الصليب في الثقافة الإسلامية فهو رمز الإنسان الكامل المكمل الفاني في الله تعالى، ويبدو أن هذا التأويل لا يتخالف مع شريعة الإسلام الظاهرة، كما لا يتناقض مع حقيقيته الباطنية، لذلك قال مفتي المالكية في الأزهر الشريف، وشيخ الطريقة الصوفية الشاذلية الشيخ عبد الرحمن عليش لروني غينو لما سأله عن حقيقة صليب المسيحيين قال له « إذا كان للمسيحيين علامة الصليب، فإن للمسلمين حقيقته"،

"ont la doctrine "Si les Chrétiens ont le signe de la croix, les Musulmans en

(René Guénon,Le Symbolisme de la Croix, 1999)

فالصليبُ له شكلٌ، كما له حقيقةٌ، فارتبط المسيحيون بالشكل وغابت عنهم حقيقة هذا الشكل، وهكذا سرت العادة والسنة في كل الأديان والمذاهب والمعتقدات التي لها ظواهر يجب الالتزام بها، كما لها بواطن يجب الالتفات إليها وسبرها، والبحث عن مقاصدها، وبما أن تجاوز ظاهر الشريعة هو انحرافٌ وتجديفٌ وكفرٌ وخروجٌ عن الدين، فان تجاوز باطنها وعدم معرفة رموزها وأسرارها هو أيضا انحراف وشذوذ وجهل كبير، وفي الأخير ستبقى الرمزية كما أوضح صاحب" قاموس روني غينو"، جون مارك فيفنزا *Jean marc vivenza*" هي الوسيلة الكبرى لطرح وتعليم الحقائق العليا التي أوحت بها الميتافيزيقا والأديان" -*(Jean marc vivenza,le dictionnaire de René guenon, 2011)*.

7. خاتمة:

- حسب مقاربات روني غينو، كل الأديان تحتوي على رموز وشَارات وشعارات خاصة تميز هويتها وتفرز وتحدد انتماءاتها، وتدلُ على خصوصيتها.
- الرموز الدينية هي حَمَّالاتُ أوجهٍ وخزاناتُ معانٍ تحيلُ إلى دلالات عميقة، يَستوجبُ على أهل الاختصاص وأصحاب الأديان الجهد والاجتهاد من أجل اكتشاف معانيها والكشف عن مدلولاتها.
- الخطأُ الكبير والانحرافُ الأكبر الذي حدث في التاريخ عند إتباع الأديان هو في الخلط و في عدم التفريق بين الرمز والمرموز إليه.
- معاني الرموز والشعارات الدينية وعبر التاريخ هي واحدة موحدة، يُلخصها غينو في قاعدة أنَّ: " عقيدة التوحيد واحدة *la doctrine de l unité est unique*".
- كل الرموز الدينية تشير حسب غينو إلى الملة الأصلية الواحدة الموحدة *la tradition primordiale*.

- الصليب رمزٌ دينيٌ تاريخيٌ عالميٌ وُجدَ في كل الأديان وفي كل التراثات القديمة وليس خاصا بالمسيحية.

- المسيحية في قراءة روني غينو قد فقدت الأبعاد الروحية الباطنية لشعائرها وجهلت المعاني الرمزية الحقيقية للصليب، وأصبحتْ لا ترى فيه سوى علامة حصرية على حادثة تاريخية.

- شَكلُ الصليب في معناه الباطني العميق يُشيرُ إلى تقاطع السير السلوكي للعارف، والكدح الروحي في إسراء ومعراج السالكين والمتوجهين الى حضرة الحق تعالى.

- نُقطةُ التقاء الخط العمودي والأفقي في رمزية الصليب تشير إلى اكتمال مسار السالك المتوجه إلى الله واتمام مساره.

- شَكلُ الصليب يُشيرُ إلى التحقق بالفناء شهودا ووجودا في الحق تعالى.

- شَكلُ الصليب يُشيرُ إلى رمزية الإنسان الكامل المُكَمِل: رسولاً نبياً متبوعاً كان، أو ولياً وارثاً تابعاً.

Bibliography:

- René Guénon, Symbols of the Complete Human Being, The Symbolism of the Intersection of the Horizontal Isra Line with the Vertical Mi'raj Line, translated by Professor Abdul Baqi Muftah, Modern Books' World, Irbid - Jordan, 2015.

- Ronnie Guéhenno (Abdul Wahid Yahya), Symbols of the Holy Flag, translated and investigated by Abdul Baqi Muftah, publisher Modern World of Books, Jordan, 2014.

- Zarrouk El Fassi El Prince, The Rules of Sufism, investigated by Abdul Majeed Khayali, Muhammad Ali Beydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, second edition 2005-1426 AH.

- Roger Arnaldez, Al-Hallaj The Quest for the Absolute, Dar Al-Tanweer Beirut, Lebanon, 2011.

-Philip Sering, Symbols in Art, Religions and Life, translated by Abdul Hadi Abbas, Dar Damascus, Syria, first edition, 1992.

. قائمة المراجع باللغة العربية :

1- روني غينو René Guénon، رموز الإنسان الكامل، رمزية تقاطع خط الإسراء الأفقي بخط المعراج العمودي، ترجمة الأستاذ عبد الباقي مفتاح، عالم الكتب الحديث 'Modern Books World، إربد- الأردن،2015.

2- روني غينو (عبد الواحد يحي)، رموز العلم المقدس، ترجمة وتحقيق عبد الباقي مفتاح، الناشر عالم الكتب الحديث الأردن،2014م.

3- زروق الفاسي البرنسي، قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي ،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 2005م-1426هـ

4- روجيه أرنالديز، الحلاج السعي إلى المطلق، دار التنوير بيروت لبنان، 2011م.

5- فيليب سيرنج، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق،سوريا ، الطبعة الأولى،1992م.

مراجع باللفة الفرنسية

1- René Guénon, Le Symbolisme de la Croix, guy tredaniel editeur,1999.

2- René guenon ,aperçus sur l ésotérisme islamique et le taôisme, édition Gallimard, 1973.

3-René Guénon, Introduction Générale à l'Étude des Doctrines hindoues, éd. Éditions Véga, 2009.

4-René Guénon, Symboles de la science sacrée, recueil posthume.

5-René Guénon, Symboles de la science sacrée, Paris: Gallimard, 1962.

6-Pierre Bourdieu, question de sociologie ,paris,1980.

7- Paul Chacornac ,La Vie simple de René Guénon, illustrations de Pierre Chaux, Paris, Éditions traditionnelles, 1958.

8-Philippe maurise seringe ,symboles dans l art dans les religions ,editeur sum le hameau,2003.

9-Jean Robin ,René Guénon, témoin de la tradition, Paris, Guy Trédaniel, 1978 (rééd. Robert Laffont, 1978).

10-Michel Vâlsan, L'Islam et la Fonction de René Guénon, Revue Etudes Traditionnelles n° 305 Janv. - Fév. 1953,

11-Jean-marc vivenza,le dictionnaire de René guenon, édition le mercure dauphinois 2011,

12-Philippe Faure, René Guénon : L'appel de la sagesse primordiale, Cerf, coll. « Alpha », 2015.

13-J. Julliard, M. Winock (dir.),Dictionnaire des intellectuels français, Paris, Seuil, 1996.

14-Pierre A. Riffard, Dictionnaire de l'ésotérisme, Payot, 1983.

15-Lévi-Strauss Claude ,la fonction symbolique, spécifiquement humaine, sans doute, ". L'efficacité symbolique. In: Revue de l'histoire des religions, tome 135, n°1, 1949.